مجلة منيرفا..... Αθηνά
مجلد(06) العدد(01) ISSN : 2437-0703 EISSN :2600-6448
https://www.asjp.cerist.dz/secretaire/prePublication/201

مشكلة الهوية بين الآفاق المحلية وتحديات العولمة

The identity problem between the local horizons and the challenges of globalization

الاسم واللقب: معارك ناصر*
مختبر:...../.....
كلية: العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية.**جامعة:**قسنطينة 02
البلد:الجزائر.
البريد الالكتروني:.maarek-nacer@hotmail.fr

Name & Surname: Maarek Nacer
Laboratory:……/……
Faculty: sciences humane et sciences social
University;Constontine 02 Contery:Algeria
Email: maarek-nacer@hotmail.fr.

قُدم للنشر في:, **2021 /05/17قُبِل للنشر في:**.2021-07-14
تاريخ النشر: 01-05-2022.

Received:2021 /05/17 **Accepted.:** 2021-07-14 **publier** 01-05-2022.

ملخص:

نهدف من خلال بحثنا إلى مناقشة مشكلة الهوية في علاقاتها الجينالوجية المتمثلة في العوامل النفسية والاجتماعية والتاريخية المكونة لها،وكيفية انفتاح الذات على الآخر من خلال هويتها وتحقيق التواصل لبلوغ الذات العالمية ومواكبة العولمة،لأن المجتمعات قطعت أشواطا فكرية في تحقيق مشاريعها الفلسفية المتعلقة بالهوية التي ظلت محل نقاش في الوسط العربي كإشكالية تدور في دائرة جعلت الذات العربية مغلقة في نظر الذات الغربية.

الكلمات المفتاحية:مشكلة الهوية،الذات،الآخر،الذات العالمية

Abstract: Through our research, we aim to discuss the problem of identity in their genealogical relationships, in terms of their psychological, social and historical factors, and how to open oneself to the other through their identity and achieve communication for global self-fulfillment and globalization. Talks in the Arab world as a problem in a circle that has made the Arab self closed in the eyes of the Western self.

Keywords : problem of identity, Self, other , universal self

مقدمة:

* د.معارك ناصر،دكتوراه فلسفة ل م د تخصص:فلسفة العلوم والقيم في الفلسفة الغربية المعاصرة **maarek-nacer@hotmail.fr**

تعتبر الهوية من بين المفاهيم القديمة الجديدة لمدى أهميتها المعاصرة في النقاشات الفلسفية،إذ أنها استطاعت الانتقال من المجال اليومي إلى المجال الفلسفي،فالتحولات العالمية بعد الحرب العالمية الثانية واغتراب الإنسان بسبب القضاء على ماهيته الوجودية وانتماءاته التعسفية أدى إلى إعادة النظر في من يكون،والمرجعيات التي يرتكز عليها لحفاظ على هويته،خصوصا وأن التقلبات السياسية والاجتماعية طرحت مثل هذه المفاهيم لمدى تشعب الأسس التي ينبغي أن تبنى على أساسها المجتمعات،والهوية من زاوية فلسفية مرتبطة بالذات العارفة التي تحاول الانفتاح على العالم الخارجي سواء من خلال تقديم نفسها أو اكتساب معارف حول المحيط الذي تنتمي إليه،ومن جهة أخرى تسعى العلوم الاجتماعية بمختلف فروعها إلى ضبط هذه الذات التي أصبحت مغتربة في هذا العالم ساعية إلى ضبط هويتها،من هنا أصبح من اللزوم على جميع الحقول المنهجية الابستمولوجية في جميع الميادين إلى الانعطاف الجينالوجي والفينومينولوجي لتحديد المرجعيات التاريخية والاجتماعية والنفسية للذات العارفة،حيث بعدما كانت مثالية ومنغلقة على ذاتها أصبح من اللزوم وفق المقاربات المعاصرة والآنية أن تنفتح هذه الذات على الذوات الأخرى التي تناقضها وتغايرها،خصوصا بعد ظهور المفاهيم الما بعد حداثية وما بعد الكولونيالية التي طرحت قضاياها القيمية والأخلاقية بهدف تكوين مجتمع عالمي يقوم على منهجية التعايش والاعتراف بالآخر،لهذا حاولنا من خلال بحثنا استقراء مفهوم الهوية وتحليل سياقاته تماشيا مع هدف بحثنا ممنهجين ذلك برؤية تحليلية نقدية،والالتزام بأربعة محاور محاولين من ورائها عكس عنوان مقالنا وتحديد مفهوم الهوية وإفرازاتها الاجتماعية والتاريخية والنفسية ،وفي الأخير حددنا علاقة الهوية بالعولمة التي أضحت إحدى المرجعيات العالمية الجديدة التي تعصف بمفهوم الهوية وتهدد مصيره،لهذا سنحاول الإجابة على التساؤل التالي:كيف يمكن لمفهوم الهوية الانفتاح على العالم ومواجهة التغيرات العالمية ؟

1)مفهوم الهوية :

تعني الهوية identity التفرد وبقاء الشيء نفسه مع مرور الزمن رغم الاختلاف،كما يتميز أي شيء عن الأشياء التي تغايره وتتشارك معه في النوع نفسه[1]. وبالتالي يقصد بالهوية من

1) Nicholas Bunnin , Jiyuan Yu : The Blackwell dictionary of Western philosophy, Blackwell Publishing Ltd, 1st published 2004, p325.

هذا المنطلق الأصل الذي يدل على نفسه. و«...مصطلح **الهوية** ذو تاريخ طويل-إذ أنه مشتق من الجذر اللاتيني Idem الذي يدل على التوحد والاستمرارية-فإنه لم يصبح متداولا إلا خلال القرن العشرين فقط.وتتخذ المناقشات الخاصة بهذا المصطلح منحيين أساسيين-المنحى السيكوديناميكي(المنحى الدينامي النفسي) والمنحى السوسيولوجي.[2]» لكن الباحث في ميدان العلوم الإنسانية تواجهه عوائق متعلقة بطبيعة موضوع دراسته،والمتمثلة في صعوبة تحديد هويته لمدى تعقد المسائل الاجتماعية المتعلقة بالإنسان وعلاقاته مع غيره،من هنا نجد أن أغلب المفاهيم ذات علاقة بالتجربة المعاشة،وما ينعكس عنها من سلوكات وتصورات في علاقاتها بالعالم الخارجي الذي يتفاعل معه الإنسان باعتباره ذاتا تتفاعل مع الذوات الأخرى باعتبارها موضوعا مدركا.[3] فالدراسات الإنسانية والاجتماعية تفرض على الباحث التعامل مع مفهوم الهوية بمنهج يلائمها قصد فهمها في أبعادها الزمانية والنفسية والاجتماعية،إذ تتمركز الهوية اليوم أكثر من السابق،لأن الدراسات الفلسفية حولها متعددة لتعدد الرؤى الفلسفية من جهة،وتعدد الإرادات الإنسانية من جهة أخرى،لأنها تترك آثارا على شكل أفعال ملموسة تفرض نفسها مع كل مد حداثي.

من هنا كان تعريف الهوية يختلف باختلاف أنماطها ومراكزها،فلما نريد تحديد هوية الطفل مثلا، نجدها تختلف عن هوية الأسرة من ناحية جوانبها السيكولوجية والاجتماعية[4]وهذا راجع لمجموعة من الشروط السيكولوجية والعقلية،والاجتماعية التي تكون ذهنية كل من الأسرة باعتبارها نواة المجتمع وذهنية الطفل التابع لأسرته وخلفياتها الهوياتية.

وقد حاول **أليكس ميكشيللي** **Alex Mucchielli** (1943- ؟) ضبط الهوية على أنها «مركب من المعايير الذي يسمح بتعريف موضوع أو شعور داخلي ما. وينطوي الشعور بالهوية على مجموعة من المشاعر المختلفة،كالشعور بالوحدة،والتكامل،والانتماء،والقيمة،والاستقلال،والشعور بالثقة المبني على أساس من إرادة الوجود»[5] ويعني ذلك أن الهوية في مجملها علاقة تجمع بين تأمل الإنسان لعالمه الداخلي وبين الحيز الاجتماعي الذي يشغله الفرد داخل المجتمع الذي ينتمي إليه أو يريد أن يرسم حيزا له داخل المجتمع.

---

2)جوردون مارشال:موسوعة علم الاجتماع،ت:محمد محي الدين،محمود عبد الرشيد،هناء الجوهرى،محمد الجوهرى ،مراجعة وتقديم:محمد محمود الجوهرى، المجلد الثالث،المجلس الأعلى للثقافة،المشروع القومي للترجمة(260)،ط1، 2001.ص1570.

) أليكس ميكشيللي:الهوية،ت:علي وطفة،دار الوسيم للخدمات الطباعية،دمشق،ط 1، 1993. ص 163

) المرجع نفسه ،ص174

) المرجع نفسه.ص 5.15

ولمعرفة هوية أي موضوع يجب معرفة الخصائص التي تحدده وبالتالي فالإنسان يستطيع أن يحدد الأشياء بالتركيز على الخصائص المتجانسة التي تمكنه من تحديد الموضوع المدرك في إطار كل متكامل مبني على تلك العناصر المتجانسة التي تسمح لنا بالتمييز بين الأشياء المتباينة بكل سهولة ،والشيء نفسه ينطوي على الآخر الذي يفترض مفهوم الهوية الرمزي الذي يمكن الذات من الاتصال بالذوات الأخرى،[6] و «... الذات تعد قدرة إنسانية متميزة تمكن الأفراد من التفاعل مع الطبيعة ومع العالم الاجتماعي عن طريق اللغة والاتصال »[7]واقرب مقاربة أعطت معنى للهوية هي المقاربة الفينومينولوجية من خلال دفعها للذات نحو العالم الخارجي بعدما كانت الذات مغتربة ومنطوية داخل ذاتها بانغلاقها على الآخر ظنا منها أن تملك آلية كفيلة بتحقيق هويتها وهو الوعي،غير أن حضور الذات لا يجب أن ينغلق داخل الشعور وإنما يتعداها إلى الخارج داخل العالم لأنه ماثل في الآخرين.[8] وقد عملت الفلسفات الصورية من قبيل الفلسفة الديكارتية على إعطاء أهمية للأنا أفكر باعتبارها عملية تأملية تتأكد من خلالها الأنا بواسطة الوعي،وهذا المنهج يجعل هوية الأنا صورية يدور مجالها في العالم الداخلي فقط كعمليات شعورية،غير أن الكوجيتو الديكارتي لم يكن كافيا للدفع بالهوية نحو العالم إلا مع **إدموند هسرل** الذي بعثها بفضل القصدية، ليصبح الوعي هو وعي بشيء ما.[9]ذلك أن الكوجيتو قد عزل الذات عندما انغلقت على ذاتها الواعية وأهملت الانفتاح على الآخر،وهذه النقطة التي أكدها هسرل وانطلق منها مؤكدا على مفهوم التذاوت كأساس لتجاوز الانعزالية وإعطاء أهمية للآخر كسبيل للتعرف على هوية الذات المفكرة.[10]فالذات لا يمكنها البروز وبناء هويتها بالانعزالية او الاقصاء بل بالتكامل مع الآخر بالنظر إليه شرطا من شروط اليومي،ذلك أن الانسان ينطلق من الواقع المعيش لكي يبني ذهنيته وأفكاره وفلسفته وثقافته،حيث لا وجود له إلا بالتواصل مع الذات التي تغايره سواء كانت محلية أو أجنبية،ومن هنا تستطيع الذات الولوج إلى العالمية.

2) النظام الثقافي أساس التذاوت المحلي:

إن الثقافة من المكاسب الاجتماعية التي تشمل القيم العليا للمجتمع حيث تجمع العقول تحت تصور جمعي موحد ويمكن البرهنة عليه من الزاوية السيكولوجية لمدى قبول الذوات للشمولية والتذاوت المحلي،إذ تقوم كل ذات بتقبل ثقافة الذات الأخرى لأنهما يملكان النموذج البديهي نفسه باعتباره يحتوي على التصورات والعواطف والأفعال المتبادلة والمتداولة

6) المرجع نفسه، ص 18
7) جوردون مارشال:موسوعة علم الاجتماع، المرجع السابق نفسه،ص1571.
8)جان بول سارتر :تعالي الأنا موجود،ت:حسن حنفي،دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان،ط 1، 2005.ص45.
9) المرجع السابق نفسه،ص ص 59-60.
10) فتحي التريكي:فلسفة الحياة اليومية،الدار المتوسطية للنشر،بيروت،تونس،2009م/1430هـ.ص ص 155-156.

بعفوية داخل المجتمع،ويمكن البرهنة على هذا الانسجام الاجتماعي بين الذوات إلى تلك الروابط المشتركة والمبادئ التي تنطلق منها كل ذات نحو عالمها الواقعي،ذلك أنه توجد مقدمات ثقافية هي مصدر السلوك الاجتماعي مثل التعليم الذي يوحد سلوك التلاميذ باعتبارهم ذات واحدة لا تشوبها نقائص.[11]

وتطرح الهوية نفسها داخل السجال الفلسفي باعتبارها قضية العصر التي يجب الاهتمام بها،خصوصا في علاقتها كمفهوم مع البنية الاجتماعية كممارسة واقعية،لأنها تصبح هوية جمعية تسعى إلى تحديد علاقة الأفراد مع بعضهم البعض من خلال خصائصهم ومصيرهم المشترك وانتمائهم المنشود[12]، كما عليها في بعض الأحيان«...أن تتجاوب مع الأحوال المتغيرة،ومن ثم فهي عرضة للتغير وإعادة التصوير باستمرار» [13]وهذا التغير داخل البناء الاجتماعي هو من يطرح التعددية الثقافية داخل المجتمع،إذ أن التعدد الثقافي قد يكون خطرا على مصير المجتمع لهذا يجب دمجه تحد رؤية موحدة تكون قادرة على مواجهة تحولات العالم.

ولصهر التعددية الثقافية داخل المجتمع وفك الصراعات الداخلية بين الذوات الاجتماعية،يجب على الدولة أن تلجأ إلى **التربية والتعليم** باعتبارهما مؤسسة تعمل على مد جسر الحوار بين جميع فئات المجتمع،إذ يسمح التعليم بفتح باب التعايش الفكري والأخلاقي والتآلف بين الذوات المحلية لتعي معا هويتها ومصيرها المشترك،فالتربية والتعليم يقضيان على الصراعات الاثنية بين الأنا والأنت، وبالتالي يقومان بعملية تعريف كل ذات على ذاتها وعلى الأخر كعملية تواصلية متكاملة .[14]وهنا يشير **داريوش شايغان** **Daryush Shayegan**(1935-2018) إلى دور الديمقراطية التي تنتهجها الدولة إذا ما أرادت الحفاظ على استقرارها في أنها «...ينبغي أن تعكس داخل المجتمع،خصوبة ذلك المجتمع،وأطيافه،وتنوع قومياته التي يتألف منها.وبذا،تستدعي هذه الديمقراطية إعادة توزيع القوة والمصادر اللازمة للتنمية الاجتماعية في أوساط من بقوا محرومين منها على نحو سيستماتيكي منظم.» [15]فالدولة لها أهداف ومرامي تسعى من ورائها الحفاظ على كيانها وعى هويتها الثقافية بمختلف تركيباتها ومستجداتها الحضارية،لهذا لا بد للدولة أن لا تغفل الاختلافات الاجتماعية التي تحمل بداخلها هويات قد تخضع للاغتراب الوجودي إذا ما

11)أليكس ميكشيللي:الهوية،المرجع السابق نفسه،ص28
12)طوني بينيت،لورانس غروسبيرغ،ميغان موريس:مفاتيح اصطلاحية جديدة،معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع ،ت:سعيد الغانمي،المنظمة العربية للترجمة،مركز دراسات الوحدة العربية،ط 1، بيروت،لبنان،2010.ص 702.
13)المرجع نفسه،ص703.
14) داريوش شايغان : هوية بأربعين وجها،ت:حيدر نجف،مراجعة وتقديم:عبد الجبار الرفاعي،ط1،دار التنوير للطباعة والنشر،مركز دراسات فلسفة الدين،بيروت،لبنان/بغداد،2016. ص 77.
15)المرجع نفسه،78

عرضت على معيار الانتماء والبروز ،لأن كل فرد وكل جماعة وكل طائفة لها حقوق وعليها واجبات أمام قانون الدولة الذي يحمي لها وجودها وهويتها،لكي لا تستغل كمطية من أجل الانحياز أو توظف كقضية عالمية.

والهوية مفروضة على الإنسان لأنها موروثة عن السلف وما كان من الإنسان إلا أن يكتسبها من عالمه الخارجي الذي يحيط بالذات التي تعي هذا العالم وتحاول أن تعكس هويتها من جديد باعتبارها إبداعا،لأن الغاية من وراء هذا الإبداع هو الارتقاء بالثقافة وتطويرها،فالإنسان يملك القدرة على التكيف مع المركبات المعقدة لشخصيته وهويته وبالتالي يستطيع مشاركة هذا التكيف والإبداع مع الآخرين ،إذ يعمل التنوع على ضبط علاقة الهوية بالذات ويثري الوجود وشعور الإنسان بعالمه الداخلي والخارجي .[16]فيصبح شعور الذوات بهويتها عبارة عن **سلوك ثقافي مشترك** يجعل الأفعال الاجتماعية منسجمة معا،حيث تقبل الذات الآخر كعلاقة تبادلية سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة مثل قراءة الكتب والاستماع إلى نشرات الأخبار وغيرها،لأن الاعتقاد منسجم مع الثقافة المتداولة.[17] كما «...يمثل النظام الثقافي بنية من التصورات والتفسيرات الخاصة بإدراك العالم.وهو يحتوي على شبكة إدراكية تتضمن معايير ونماذج ورموز ثقافية »[18]

وبالتالي يجب الكلام عن الذهنية باعتبارها خبرة تكتسبها الذات في إطار جماعة ،ولما تكتمل مع الذوات الأخرى تصبح ذاتا جمعية تتفاعل مع الآخر المحلي لاشعوريا لأنهما يدركان العالم الخارجي وفق مرجعية ثقافية واحدة ينبجس عنها سلوك منسجم ومضبوط،والذهنية هي حالة نفسية داخلية يمكن للذات أن تراقب الأشياء وتحكم عليها وفق ما يتماشى مع المعيار الكلي الذي تنتمي إليه،ومن ثم تصبح الذات فعالة داخل المجتمع لأنها تستطيع الحكم على السلوك الأخلاقي الذي يتماشى أو يتنافى مع القيم العليا،ولما نتكلم على الذهنية فنحن نقصد تلك الذات التي تملك رؤيتها الخاصة بالعالم الخارجي وتستطيع التفاعل معه وتتخذ موقفها الخاص بها من هذا العالم،ومن ثم تبني الذات هويتها انطلاقا من تفاعلها مع مجموعة من العناصر الموضوعية والخاصة بالإنسان.[19]حيث«...يتدخل النظام المرجعي للذهنية على نحو دائم كشبكة لتحليل رمزية العالم،وكنظام من المعلومات يؤدي دورا تفسيريا.وتعرف هذه الوظيفة من خلال دراسة إيديولوجيات الجماعة.وذلك لأن الايدولوجيا تقدم تفسيرا دائما للأحداث وذلك في إطار نظامها الخاص»[20]وهذا يعني أن الهوية من منظور اجتماعي يمكن مناقشتها،لأنها تضبط تصور الأفراد في علاقاتهم الاجتماعية

16) المرجع نفسه،91
17) أليكس ميكشيللي:الهوية،المرجع السابق نفسه، ص29
18) المرجع نفسه، ص30.
19) المرجع نفسه ،ص 39.
20) أليكس ميكشيللي:الهوية ،ص 40.

المشتركة أو المتباينة،ولا تتم الهوية باعتبارها هوية اجتماعية إلا بواسطة التفاعل الإنساني من خلال التجاذب والتنافر داخل علاقاتهم المفهومية والتداولية للفكر واللغة،حيث تشترك الذوات في هوية واحدة إذا كانت ذهنياتهم مشتركة ومتشابهة،أما إذا تباينت ستتشكل هويات على شكل عوالم ،إذ يبنى كل عالم على تكامل هوية أفراده محليا.[21]

3)التنشئة الأسرية أساس هوية الذات :

تعتبر الحياة النفسية أساس الحياة الفردية والاجتماعية بفضل نشاطاتها المعرفية الداخلية،التي تقوم بعملية التعرف على العالم الخارجي والتفاعل معه بالانطلاق من الذات نحو الموضوع المدرك،وبالتالي تتشكل الهوية الشخصية بناء على ذلك النشاط الإدراكي، ويمكن البرهنة على الهوية الفردية من الزاوية النفسية وحدها ،فهي تمكن الفرد من الاندماج والتفاعل مع هذا العالم.[22] ويؤكد **أليكس ميكشيللي** على أن علماء النفس يجمعون على أن:«...التجارب الانفعالية الوجودية تترك طابعها على الفرد كما تترك آثارها على بنيته النفسية.وأن هذه الآثار الانفعالية المتأصلة تتدخل في عملية إدراكه للعالم كما تدخل في تحديد سلوكه»[23]

وتعتبر الأسرة النواة الأولى التي تكتسب منها الذات مفهوم الهوية،على الرغم من التفسيرات النفسية لعلماء النفس من قبيل مدرسة التحليل النفسي حيث يرى **أليكس ميكشيللي** أن **سيغموند فرويد Sigmund Freud** (1856-1939)أكد على أن الطفل يسعى إلى تأكيد ذاته في تفاعله مع الأبوين حيث تتحكم في تفاعلاته ثلاث أسس وهي:السلطة والحب والعلاقات العاطفية والجنسية التي تتحول فيما بعد إلى مكبوتات،وبالتالي تتشكل الأنا بفضل علاقتها مع الأنا الأعلى ليكون الآخر ذا وظيفة رئيسية في توجيه الأنا.[24]

وتعتبر مرحلة الطفولة المرحلة الأساسية لتحديد مركزية الأنا من خلال الآخر،فالعائلة هي من تقوم بتكوين الطفل وتنشئته،فتتحدد هويته بناء على التكوين المعرفي للطفل داخل وسطه العائلي،وبالتالي يصبح عضوا فعالا داخل المجتمع الذي يعتبر مرجعا غير مباشر للطفل «...والطفل لا يملك خيارات بل يخضع إلى الأوامر والتعليمات من أجل ممارسة دوره.وهنا تتبدى الأهمية الأساسية لعملية بناء الهوية من خلال تحديد الأنا كمعطى من

21) هالمبس وهولبورن:سوشيولوجيا الثقافة والهوية،ت:حاتم حميد محسن،دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق،سوريا،ط 2010،1.ص93.
22) أليكس ميكشيللي:الهوية ،المرجع السابق نفسه،ص 42.
) المرجع نفسه ،ص 23.43
) المرجع نفسه،ص 24.44

معطيات العائلة في مرحلة الطفولة الأولى»[25]وهنا يجب التركيز على الأسرة التي تعتبر النسق الوحيد الذي يؤسس للهوية انطلاقا من وظائفها النبيلة التي تمكن الفرد من بناء شخصيته التي تنمو فيما بعد كعنصر فعال يقوم على الحفاظ على الهوية الاجتماعية وتبريرها بهدف مواجهة مستجدات العصر ومتغيراتها .

والطفل من حيث علاقاته مع أسرته تتحدد شخصيته،فيحاول التطلع بذاته نحو العالم الخارجي،فإذا كانت شخصيته سوية ستنسجم ذاته مع الآخرين بصورة طبيعية أما إذا كانت شخصيته مرضية فسيحاول رفض الهوية التي اكتسبها من أسرته ليحاول البحث عن هوية بديلة لأن العائلة هي مصدر تكوين هوية الطفل ومرجعه الدائم،[26] لهذا كان «...السلوك داخل العائلة ينطلق من نظام العلاقات القائم بين أفرادها إذ لكل دوره في العائلة وبالتالي فإن هذه العلاقات تحدد صورة الهوية الخارجية (صورة الذات كما تبدو للآخرين) »[27]

ويمكن للأنا أن تتعرض للمرض الذي تكون انطلاقته مع الطفولة على اعتبار أن هوية الطفل تتعرض للمرض فتصبح غير سوية، فيصعب عليها الاندماج مع الآخرين وهو ما يظهر في مراحل الرشد فيما بعد،لما يصبح الطفل قادرا على التواصل مع غيره،ومن بين أمراض الهوية انفصام الشخصية **Schizophrénie** وهو مرض نفسي تكون فيه الأنا في اضطراب مع الذوات الأخرى إذا لا تستطيع الأنا في هذه الحالة التواصل بصورة طبيعية مع العالم الخارجي،ومن هنا يكون الفرد في تناقض دائم مع الوسط الاجتماعي الذي ينتمي إليه،ومرد ذلك أن الطفل لما يكتسب هويته داخل الأسرة في بعض الأحيان،تخونه الطريقة التي يتلقى من خلالها مدركاته المفهومية فيكتسب مفاهيما منشطرة وغير متكاملة من طرف الأب والأم اللذان لا ينسجمان في تنشئتهما للطفل فيربو وهو منفصم الشخصية.[28]

ويمكن للطفل أن يتجاوز هذا الانفصام بفضل الظروف الثقافية والاجتماعية التي تتداخل إلى جانب الظروف النفسية لتجاوز مراحل الطفولة الحرجة، لهذا كان لزاما على المجتمع مواجهة مثل هذه المشكلات بحلول تتماشى والنظام الثقافي للمجتمع.[29]

4)الهوية والعولمة:

إن العولمة **Globalization** بكل إفرازاتها الاقتصادية والاجتماعية والإعلامية تتصادم مع الهوية،ذلك أن هذا الصدام هو صدام ذوات اجتماعية،حيث أن التقدم الذي شهده المجتمع العالمي نتيجة الانفجار التقني والإعلامي للعالم،فرض على العوالم التقارب لتصبح قرية،إذ

25) المرجع نفسه،ص ص 44-45.
) المرجع نفسه،ص 26.46
) المرجع نفسه،ص 27.46
) المرجع نفسه،ص 28.47
) المرجع نفسه،ص 29.48

أثرت وسائل الاتصال على كل شيء،حيث يعبر **أنتوني غدنز** على ذلك بقوله:«...ففي الدول التي وصلت فيها البنية التحتية للاتصالات مرحلة متقدمة،تستعمل المنازل والمكاتب شبكة متعددة الصلات مع العالم الخارجي،بما فيها الهواتف الأرضية والمحمولة،وأجهزة الفاكس،وأجهزة التلفاز الرقمية والعادية،والبريد الالكتروني والانترنت »[30]وقد ظهرت كلمة العولمة في الولايات المتحدة الأمريكية لتمس الاقتصاد والثقافة والسياسة،لتدل على اتجاه يدعو إلى توحيد العالم في شكل موحد تكون فيه الزعامة لقطب واحد هو النموذج المهيمن[31]

حيث عملت العولمة على التقريب بين الذوات على اختلاف هوياتها واختزلت الزمان والمكان بحيث مكنت الأفراد من التواصل فيما بينهم وكأنهم يعيشون في حيز واحد،فيتبادلون المعلومات على اختلافها دون عناء،حيث نقلت تكنولوجيات الاتصال العوالم من العزلة إلى التقارب،وهذا ما لم يشهده التاريخ سابقا.[32]لكن إذا تكلمنا على العولمة على أنها إيجابية من ناحية دمجها للعالم المادي وتوحيده داخل العالم الافتراضي،فما علاقة الهوية بالعولمة؟ أليست العولمة من إنتاج المجتمعات المتطورة والقوية؟ وبالتالي سيفرض القوي منطقه بشتى الطرق ليسلب المجتمعات هوياتها.

إن العولمة من جانبها التقني قد فتحت الباب أمام مجال جديد من التكنولوجيا والمتمثل في الديمقراطية الإلكترونية،حيث أصبح العالم الافتراضي المتنفس الوحيد للمجتمعات سواء بالنسبة للأفراد أو الجماعات،إذ لم تعد الدول قادرة على السيطرة على وسائل التواصل الاجتماعي إذ تعمل هذه الوسائل الافتراضية على فتح باب الحوار بين الذوات بمختلف اتجاهاتها الايديولوجية والعقدية[33]،وهذه العملية إنما تقوم من جهة أخرى على تغيير الوعي الاجتماعي،من خلال معادلة التأثر والتأثير،ذلك أن تأثر أفراد المجتمع بثقافة المجتمعات الأخرى يعمل على تهديد الهوية ومرجعياتها.

ويمكن تبني الحل الذي قدمه **أليكس ميكشيللي** كبعد جديد للهوية،حيث تجاوز الطرح الدوركايمي للعقل الجمعي،حيث تفتقر الهوية الجمعية لمفهوم المشاركة الانفعالية بين الأطراف المكونة للمجتمع والمنتمية إليه،حيث يبحث عن العلاقة الجدلية بين الأنا والنحن ومدى تكاملهما في بناء الهوية.[34]والهوية المشتركة«...هي بالدرجة الأولى صيغة مشاركة انفعالية في إطار كل جماعة.وهي الدعامة الدائمة لأشكال الهوية وصيغها المختلفة.فهي

30)أنتوني غدنز:علم الاجتماع،ترجمة وتقديم:فايز الصياغ،المنظمة العربية للترجمة،مركز دراسات الوحدة العربية، مؤسسة ترجمان،ط 1،بيروت،لبنان،2005.ص120.

31) فرنسيس بال:الميديا،ت:فؤاد شاهين،دار الكتاب الجديد المتحدة،ليبيا،ط1 ،2008.ص129.

32)المرجع نفسه،ص121.

33)بول هوبر:نحو فهم للعولمة الثقافية،ت:طلعت الشايب،المركز القومي للترجمة،(1811)،القاهرة، ط1 ، 2011.ص99.

34) أليكس ميكشيللي:الهوية،ص101.

تشكل منطلق الشعور بالهوية وخاصة مشاعر الانتماء والقيمة والثقة.وإذا كنا نؤكد وجود هوية مشتركة فإنه لمن المناسب أن نحدد الكيفية التي تولد فيها الهوية الفردية وجوديا وتاريخيا من أحشاء الهوية المشتركة»[35]وهذا التشارك المحلي قد يكون حلا أمام تنامي مد العولمة في إقصاء هوية المجتمعات باستخدامها للتكنولوجيا كسلاح معاصر يمثل الفلسفة الما بعد حداثية.

فالعولمة تقوم مقام الشوملة بالقضاء على الجزئية من خلال توقيف صيرورة الهوية،وقد تمكنت العولمة من ذلك بفضل الانعطاف التكنولوجي لوسائل الاتصال،حيث فقدت الهوية طابعها البيولوجي والبيئي وكل مقوماتها النفسية والاجتماعية وأصبحت مهددة بالزوال،والسبب في ذلك تأثر الثقافات الجزئية بثقافة العولمة،فالمجتمعات الضعيفة تأثرت وانسلخت من هويتها بالتدريج لضعف شخصيتها وإرادتها الجماعية،لأن المجتمعات الضعيفة عبارة عن مجتمعات استهلاكية تتماشى مع منطق الأقوى المنتج للثقافة والسلع[36]،لهذا كانت «... مقدرة الفرد على تبني المزيد من الخيارات حول هويته معناه أن الناس الذين يعيشون قريبين من بعضهم،وينتمون إلى نفس الطبقة أصبح لديهم هويات مختلفة.فالعولمة إذن فتحت العديد من الاحتمالات »[37]لكن إذا تكلمنا على هذا التعميم الحتمي سنقصي الهوية كما نقصي أساسياتها ومكوناتها وكل ما هو مرتبط بالذات من مجهودات وخبرات إنسانية وقيمية وعقدية،كل ذلك اندمج في بعد الرؤية الواحدة،لا التعدد الهوياتي القائم على احترام الآخر،حيث لا يكون هذا الاحترام نظريا بل يجب أن يكون ملموسا في أرض الواقع بعيدا عن المصالح المادية.

ومن زاوية أخرى قد يكون الانتماء ولو جزئيا داخل مد العولمة ذا جانب إيجابي إذا ما حافظ كل مجتمع على هويته وتفتح على هويات المجتمعات الأخرى،ذلك أن التعدد الثقافي لابد منه لاستمرار التعايش من خلال اعتراف كل طرف بالآخر بالتفتح على الثقافات المناقضة له بهدف فهمها والتفاعل معها.[38]

لكن العولمة في حقيقتها تدعو إلى نوع من الرؤية الأحادية التي تنغلق على الآخر،إذ تعمل عملا نفعيا يتأسس في علاقاته على المصالح الاقتصادية بالأساس،من هنا كانت العولمة في نظر محمد عابد الجابري عبارة عن شوملة للعالم إذ تنصهر جميع هويات العالم وفق

35) المرجع نفسه ،ص101.
36) هالمبس و هولبورن:سوشيولوجيا الثقافة والهوية،المرجع السابق نفسه،ص98.
37)المرجع نفسه،ص98.
38) أمارتيا صن:الهوية والعنف،وهم المصير الحتمي،ت:سحر توفيق،علم المعرفة،(352)،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،جمادى الأولى 1429هـ/يونيو2008م. ص34.

النموذج الأمريكي الذي يسعى إلى أمركة العالم بتعميم فلسفة العولمة وتطبيقها في جميع بلدان العالم، لتصبح عبارة عن إيديولوجيا مهيمنة على ثقافات العالم وإقصائها.[39]

إن العولمة في نظر **محمد عابد الجابري**(1935-2010) عبارة عن إيديولوجيا تعكس الجانب النظري إلى تطبيقي من خلال محاربة الذاكرة الوطنية والتاريخ وكل ما له علاقة بالهوية الاجتماعية ودمج العقول داخل عقل واحد يؤمن بالعولمة بمعناها المهمن الذي لا يقبل الرفض،فهي ليست ثقافة انفتاح على العالم بقدر ما هي ثقافة تدعو إلى إقصاء الآخر،إذ لا يوجد لمفهوم الاستقلالية الحضارية أو التاريخية ما يضع الهوية محل زوال وإقصاء محليا وعالميا.[40]حيث يعبر محمد عابد الجابري على موقفه من علاقة العولمة بالهوية بقوله: «...ما ترمي هذه الرؤية المستقبلية إلى التأكيد عليه هو نهاية دور الدولة بوصفها محددا للهوية ومصدرا للسلطة القانونية.العولمة نظام يقفز على الدولة والأمة والوطن،وفي مقابل ذلك يعمل على التفتيت والتشتيت.إن إضعاف سلطة الدولة والتخفيف من حضورها لفائدة العولمة يؤديان حتما إلى إسقاط أطر للانتماء سابقة على الدولة،أعني القبيلة والطائفة والجهة والتعصب المذهبي.والنتيجة تفتيت المجتمع وتشتيت شمله »[41]

وما نفهمه من موقف محمد عابد الجابري أن العولمة باعتبارها فلسفة تدعو إلى التفتح على العالم من الناحية النظرية،تسعى بطريقة غير مباشرة إلى فتح أبواب دول العالم دون السماح لها بالقرارات بشأن هذا التفتح،وبالتالي تقضي على الضامن الوحيد للحفاظ على هوية أي شعب من الشعوب،وهي الدولة،إذ ان عولمة العالم لا يخدم سوى الدول القوية أما الدول الضعيفة فلا قرار لها سوى القبول بمنطق الأقوى،وإذا زالت سيادة أي دولة ستزول معها هويتها بمختلف تركيباتها التاريخية والثقافية والدينية .

خاتمة:نستنتج من خلال التحليل السابق أن مسالة الهوية هي مسألة محلية وعالمية،فهي تحتاج إلى أطر منهجية وبحثية لضبطها ومواجهة التحولات العالمية التي تعصف بوجودها،حيث أن البرهنة عليها يتم من خلال البحث الجينيالوجي في أسس تكوينها النفسي والتاريخي المرتبط بالنسق الاجتماعي الذي تنتمي إليه،حيث لا يمكن إدراك ذلك إلا من خلال التربية التي تنطلق من الأسرة على اعتبار أنها تكون الذات المحلية التي تتشكل داخل المجتمع باحترام القيم العليا التي تواضع عليها المجتمع وحفظتها الدولة من خلال تشريعاتها القانونية.ومن جهة أخرى تسعى هذه الذات إلى الانتقال من المفهوم المحلي إلى المفهوم العالمي المتمثل في مواجهة مد العولمة،وذلك بفهم سلبيات العولمة ومواجهتها بالحفاظ على

39)محمد عابد الجابري:قضايا في الفكر المعاصر،مركز دراسات الوحدة العربية، ط1 ، بيروت، لبنان،1997. ص137.
40) المرجع نفسه،ص ص143-144.
41)المرجع نفسه،ص149.

أصالتها وفتح باب الحوار الحضاري كسبيل للتعايش بحيث لا يتم التعايش العالمي بين الذات المحلية والآخر الأجنبي إلا من خلال احترام مرجعيات الهوية لكل طرف.وتعتبر التربية والتعليم أهم حل لدمج الذوات المحلية تحت عقلية واحدة تكون منتجة للأفكار والقيم،وقادرة على مواجهة الأفكار الدخيلة عليها وتفكيكها تفكيكا يكون الهدف من هذه المواجهة فهم الآخر من أجل تفادي نظرية الصراع في سبيل تدعيم فلسفة التعايش الحضاري بين الهويات المختلفة.

إن العولمة فلسفة بالرغم من سلبياتها إلا أنها تحمل بداخلها مشروعا يقرب الشعوب بعضها من بعض من خلال وسائل الاتصال التي أضحت مودة العصر وبالتالي يمكن للذوات المحلية أن تصبح عالمية من خلال الحوار التواصلي الهادف إلى السلام العالمي والقضاء على بذور الاستغلال والهيمنة وإقصاء الغير مهما كان انتماؤه لأنه في نهاية المطاف كائن عاقل يسعى هو الآخر نحو فهم الآخر،لهذا يمكننا التعبير عن الذات العربية على أنها تحتاج إلى مراجعة مركزها الفكري من هذا العالم وذلك لأنها تملك مقومات تجعلها قادرة على تجاوز تقوقعها من هذا العالم والانفتاح عليه بالحفاظ على ذاتها المحلية دون المساس بها،ومن جهة أخرى تحاول فهم مد العولمة تماشيا مع الهابيتوس العربي والانعطاف به من الاغتراب الوجودي إلى التواصل العالمي كذات قادرة على التعايش.

قائمة المراجع:

أولا:الكتب:

1) أليكس ميكشيللي:الهوية،ت:علي وطفة،دار الوسيم للخدمات الطباعية،دمشق،ط 1، 1993.

أنتوني غدنز:علم الاجتماع،ترجمة وتقديم:فايز الصياغ،المنظمة العربية للترجمة،مركز دراسات الوحدة العربية،مؤسسة ترجمان،ط 1،بيروت،لبنان،2005.

2) بول هوبر:نحو فهم للعولمة الثقافية،ت:طلعت الشايب،المركز القومي للترجمة ،(1811)، القاهرة
،ط1 ،2011.

3) جان بول سارتر :تعالي الأنا موجود،ت:حسن حنفي،دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان،ط 1، 2005.

4) داريوش شايغان : هوية بأربعين وجها،ت:حيدر نجف،مراجعة وتقديم:عبد الجبار الرفاعي،ط1،دار التنوير للطباعة والنشر،مركز دراسات فلسفة الدين،بيروت،لبنان/بغداد،2016.

5) دنيس كوش:مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية،ت:منير السعيداني،مراجعة:الطاهر لبيب،المنظمة العربية للترجمة،مركز دراسات الوحدة العربية،ط1 ،بيروت،لبنان،2007.
6) فتحي التريكي:فلسفة الحياة اليومية،الدار المتوسطية للنشر،بيروت،تونس،م1430/2009هـ..
7) محمد عابدالجابري:قضايا في الفكر المعاصر،مركز دراسات الوحدة العربية،ط1 ،بيروت،لبنان،1997.
8) هالمبس وهولبورن:سوشيولوجيا الثقافة والهوية،ت:حاتم حميد محسن،دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع،دمشق،سوريا،ط1 ،2010.

ثانيا:المعاجم والموسوعات:

أ.باللغة العربية:

1) جوردون مارشال:موسوعة علم الاجتماع،ت:محمد محي الدين،محمود عبد الرشيد،هناء الجوهرى،محمد الجوهرى ،مراجعة وتقديم:محمد محمود الجوهرى، المجلد الثالث،المجلس الأعلى للثقافة،المشروع القومي للترجمة(260)،ط1، 2001.
2) طوني بينيت،لورانس غروسبيرغ،ميغان موريس:مفاتيح اصطلاحية جديدة،معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع،ت:سعيد الغانمي،المنظمة العربية للترجمة،مركز دراسات الوحدة العربية،ط 1، بيروت،لبنان،2010.

ب.باللغة الأجنبية:

1) Nicholas Bunnin , Jiyuan Yu : The Blackwell dictionary of Western philosophy, Blackwell Publishing Ltd, 1st published 2004,